بتاريخ 16 شوال 1446
التعبدى و التوصلى

الجلسة 76

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمْ
الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينْ وَصَلَى الله عَلَىٰ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينْ

تحطيم الدّليل الثّاني لأصالة التّعبّديّة

و عقيبَ ما تخلَّصنا من الدّليل الأوّل تجاه «أصالة التّعبّديّة» و فنَّدناه تفنيداً، فسنَتصدّى الآن لمُستَمسكِهم الثّاني حيث استَظهروا أصالة التّعبّديّة من الآية التّالية: «و ما أُمِرُوا إلّا لِيَعبدوا الله مخلِصِينَ له الدّين حُنَفاءَ و يُقيموا الصّلاةَ و يُؤتوا الزّكاةَ و ذلک دينُ القَيِّمة»[1] زاعمِين أنّ امتثال كافّة أوامر الله تعالى يَتطلَّب الإخلاص و النّيّة الصّافية العباديّة، إذ اللّام ـ ليعبدوا ـ تُعدّ غائيّة بحيث إنّ الهدف الغائيّ من أوامر الشّارع هي العبوديّة المُخلِصة، فبالتّالي ستَتسجَّل أصالة التّعبّديّة لدى الامتثالات.

بينما قد رفضنا هذه الاستدلاليّة أيضاً إذ:

1. هاتِ الآيات تَخُصّ الكفّار و المشركين فحسب فإنّ ظاهرها أنّها قد ركَّزت على كُتبهم السّماويّة و رُسلهم و أوامرهم المُسجَّلة في شريعتهم و تفرُّقاتهم و... حيث انصَبّ حوارها على العناوين التّالية: «لم يكن الّذين كفروا من أهل الكتاب و المشركين» منفكّين حتّى «تأتيهم البيّنة» * «رسولٌ من الله» يَتلو «صُحُفاً» مُطهَّرة * فيها كتب «قيّمة» * و ما تَفرَّق الّذين «أوتوا الكتاب» ...» إلى آخرها، و حيث إنّهم قد تَبنَّوا مُعتقَدات زائفة نظير قوله تعالى: «لقد كَفَر الّذين قالوا إنّ الله ثالثُ ثلاثةٍ»[2] و قوله تعالى: «ما نَعبُدهم إلّا لِيُقرّبونا إلى الله زُلفى»[3] فبالتّالي قد أجابهم تعالى بأنّ العبوديّة منوطة بالخلوص و الحَنفيّة فحسب.

إذن فالآية مُنعدِمة الصِّلة بأوامر المسلمين ـ الّتي موقع صراعنا ـ فرغمَ أنّ المسلمين أيضاً مأمورون بالإخلاص و التّقرّب و لكنّ الآية لا تَرتبط بهم.[4]

2. فلو تَنازَلنا فسلَّمنا عدم خصوصيّة الكفّار و أهل الكتاب، لَاحتَوَت المسلمين أيضاً ـ وفقاً للمِقياس المذكور: «و ذلک دين القَيِّمة» و حيث إنّ كافّة العباد مكلَّفون «بالدّين القيِّم» فسيَتوجَّب على عامّة الطّوائف و الأديان أن يُوحِّدوا الله تعالى ـ و لكن سنُجيب بأنّ الآية ليست ضمن مقام تبيين «كيفيّة العمل» أساساً بل تَمركَزت فحصَرت «المعبود في الله تعالى» بأنّ الواجب أن يُعبد الله فحسب دون غيره ـ درءاً للشّرک ـ فبالتّالي لم تُحدِّد كيفيّةَ الامتثال و لزوم اتّخاذ القصد فيه.

---
[1] سورة البيّنة الآية 4.
[2] سورة المائدة الآية 73.
[3] سورة الزّمر الآية 3.
[4] و لكنّه استظهار مستَبعَد إذ أوّلاً: الآية الثّانية تُدلِّل على أنّ المسلمين مندرجون أيضاً ضمن خطاب الآية، حيث يُصرِّح تعالى: «رسول من الله يَتلو صُحفاً مُطهَّرة» فإنّ الرّسول ـ سواء الخاتم أم غيره ـ يَتلو الآيات على العالَمين بأسرهم لا الكفّار فحسب، وثانياً: إنّ المورد لا يُخصِّص القضيّة و التّعاليل الوارد ضمن الآيات.